مكتبة المقتطف

على بساط الريح

للشاعر الخالد فوزي المعلوف

دراسة وتحليل للشاعر المصري محمود ابو الوفا

شذى متوهج الميز . ساطع الارج . مخضرم الفوح . لا تكاد تحسه حتى يستحيل في حواسك الى شعور فانت من عبيره الفواح كانك في عالم الارواح. ذلك شذى العبقرية الخالد شعر فوزي معلوف. أجل ذلك هو الشعر الذي يرفع صاحبه الى مصاف العالمين وتلك هي العبقرية الشاعرة الحية الميتة معاً تتجلى نوراً باطشاً فاذا صاحبها الذي تجلت عليه في حياة نابضة بمثل الموت وفي موت نابض بمثل الحياة ، من رقيق احساسه ولطف شعوره ودقة شاعريته في عذاب دائم وهم قائم ونصب مستمر . فكأن ذلك الشاعر لتغلغله في فهم الحياة اصبح غريباً عن الحياة . فهناك امام مجهر هذا النوع من العبقرية تظهر الخلائق مفضوحة الطوية . مهتوكة السريرة . فاذا الغرائز والميول والشهوات الانسانية كل اولئك سلاسل عبودية من وراء عبودية من وراء عبودية . فالانسان في نظر عبقرية فوزي محكوم عليه أن يعيش عبد الحياة لا يتحرر من احد قيودها الا ليقع في اكثر منه فهو لا ينفك يبدي ويعيد في ذلك النشيد

أنا عبد الحياة والموت اعتى مكرها من مهودها لقبوره
عبد ما ضمت الضرائح من حور يحط النوى كل سطوره
عبد عصر من التمدن تهوى صنة عن لبابه بقشوره
عبد اسمي ذويت روحي وجسمي طعماً في خلوده ونشوره
انا في قبضة العبودية العمياء أعمى مسير بغروره
ان جسمي عبد لشقي وعقلي عبد تاهي والعلب عبد شعوره
وشعوري عبد طيشي وحسي هو عبد الجمال يحيا بنوره

اترى الى الشاعرية العبقرية في فوزي معلوف سلطت اشعتها الهادئة الجبارة على الحياة تسليطاً دقيقاً فاذا الحياة حتى في الدنيا الجديدة ليست متسعة له فهو من هذه الدنيا في دنيا وحده لا يملك فيها من انواع التسلية والتلهي الا ان يقول

بيت شعري ما الشاعر ابن هذي الارض الا يمحه ويظلمه
فهو فيها وليس منها فان غريباً ما بين ابناء امه

وكانا بالشاعر على ضوء نظرته هذه للحياة قد لمح لاول مرة موطن روحه الذي ازلته فيه عروس قوافيه بعيداً عن الوجود وظلمه

ثم على ضوء هذه الحقيقة عرف هذا الشاعر موطن روحه او على الاصح الموطن اللائق بروحه وتأكد تماماً ان ذلك الموطن ليس في الارض وانما هو

في عباب الفضاء فوق غيرمه فوق نسره ونجمه
حيث بث الهوى بنثر نسيمه كل عطره وورقه

موطن الشاعر الحق في الجو متقالبه بروحه لا بجسمه

وجلس الشاعر على بساط الريح . وهاهو في ذلك الحلم الجميل يطلق العنان لطائرته متغنياً بهذا النشيد :

يا طيور انسياب في الريح روحي بي جريا على الجلد
وبجسمي طيري الى حيث روحي فيه تحيا بلا جسد

وهاهي طائرة الشاعر تستجيب له فتندفع في الفضاء خبباً تارة وطوراً وثيداً فتغرب بشكلها ودويها أهائل سكان السماء جميعاً من غيوم ونجوم وكسور وصقور

قال كسر لآخر أي طير هو هذا ومن رفاقه
ان يكن قادماً الينا بخير فلماذا علا زعاقه

يا لها طائراً بصورة انسان يبث الهيب بركان صدره

واذا جميع الطيور يجتمعن يسألن عن هذا الدخيل الذي تجرأ في وقاحة واجتاز حدود مملكتهن المقدسة وحين يعلن انهُ الانسان يستعذن بالله من شره وشر اختياره ويقررن الحرب والاستماتة في الدفاع والقتال وتنشب المعركة التي يصف الشاعر هولها في هذه الابيات :

ودوت في الاثير صيحة حرب ملأته بذعره وبصقره
واذا بي ما بين أجنحة سود على الافق حجبت وجه بدره
طوقتني بكل فاجر شدق صامد لي بمخلبه وظفره

ولكن شاعرنا يمقت الحرب كل المقت ولا يمجد انتصار القوة المادية لذلك يحاول اقناع الطير انهُ لم يجيء مستعمراً وليس هو إلا شاعر هارب من الارض ليستحم جسمه بنور الجو

لا تخافي يا طير ما أنا الا شاعر تطرب الطيور لشعره
زارك اليوم متعباً يطلب الرا حة في هدأة السكوت وسحره
فر عن أرضه فراراً عنها من أذى أهلها وتنكيل مصره

وكذلك تهدأ ثائرة الطير وتطمئن على حريتها فتهب للشاعر حرية السير في مملكتها. ثم ينطلق الشاعر حراً في طبقات الاجواء لايكاد يستقر بينهن في سماء إلا ليطلع على سماء حتى صار قرب النجوم وقالت نجمة لاحتها ماهذا الذي ينقض في الجو كالصواعق. أو كان هذه النجمة أرادت ان تثير جواً من الشك حول صاحبنا ولكن الحمد لله فذكاءت المسئولة أحكم من الاولى واعلم منها بالانسان ومحاولاته فقالت للسائلة :

النجمة لا تخافي منه وخليه يطو قريباً بجوي مربع كفاحه

الشاعر
ايه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعراً ينصت الحجى لنواحه
كم ليال في الروض أحييتها أبكي وأشكو اليك بث اقتراحه
ساغ لله ذيك قلباً تبا هو في الكون مثل قيثارة حه

اسمع شيئاً جديداً ! ما هذا ؟ أجل ما هذا النغم الجديد الذي نسمع في هذه الابيات الثلاثة وخاصة الشطر الاخير من البيت الاخير . انهُ ينبض باتهام خطير . نعم وان الحروف في ذلك الشطر لتلمع لمعات الدماء في الجراح المنكوءة وأكاد ازعم ان فوزي الخالد لم يمت الاّ بضربة غدر اصابت قلبه من مأمنه وفي شعره ادلة كثيرة تؤيد هذا الرأي

(١) يقول فوزي في الابيات الآنفة ايه يا نجمتي ، بالاضافة اجل بالاضافة لانا بدراسة شعره وأبناء يتحرى الصدق والدقة في الالفاظ والمعاني على السواء كما انا بدراسته أيضاً تأكدنا انهُ لا يخضع ولا يبيح الخضوع لما يسمونهُ بضرورة الشعر وحينئذٍ فلا بدَّ من القول بأن الاضافة هنا مقصودة . وأي شيء يقصد خلاف هذا الذي اردناه

(٢) ان فوزي حين ختم نشيد قرب النجوم بالصورة التي بيناها اسرع فالتفت لنفسه لفتة تقطع نياط القلوب وانهُ كان في اثناء ذلك يرسل نغماً شعريًّا حارًّا جدًّا حتى لتكاد تشم في الفاظه روائح الاكباد المحترقة والافئدة الممزقة

(٣) ثم لا تدعى اطلاقه على هذه الالغام اسم اوراق متناثرة لان هذه التسمية وحدها لا يقع عليها الاّ المحب المخفق بل ان المحب المخفق لا يقع على هذه التسمية الا اذا كان هو الذي يقول

نجمة الليل رحمة فضلوعي من شجوني تشرق
كفكفي الليل انه في دموعي من عيوني يتدفق

واذكريني لدى الكواكب وادعي لي عسى يهتدي الى السلام

اي نعم ليس المحب المخفق الاّ هذا الشاعر المفلق ولعلنا الآن نكون قد عرفنا مفتاح ذلك النبوغ العظيم

لان فوزي معلوف نابغة حقًّا وسوف تنظر اليهِ الاجيال المقبلة كما تنظر نحن الآن الى امرىء القيس . فاذا كان امرؤ القيس هو اول من بكى واستبكى وأول واول الخ هذه الاوليات المعروفة في كتب الادب فان فوزي معلوف سيذكر على انهُ اول من اخرج الشعر العربي من دائرة وصف الظواهر السطحية السامية الى دائرة تحليل اعمق العواطف الانسانية الاذلية مع عدم التفريط في خردلة واحدة من حقوق الشعر العربي الصميم

على ان شعر فوزي قد عرف منذ الآن بأنهُ المثل الاعلى للشعر العربي يدلك على ذلك ظاهرتان

الاولى عناية شاعر من أشهر شعراء الاسبان فرنسيسكو ڤيلاسپاسا بوضع المقدمة لقصيدته على بساط الريح في هذا الاسلوب الفذ في تأليف المقدمات. فنحن لم نعرف ديواناً شعريًّا وضعت له مثل هذه المقدمة التحليلية الدراسية التي لو طبعت وحدها بصفتها كتاباً قائماً بذاته لاعتبرت من كتب المراجع في تاريخ الآداب. والحق ان الشاعر الاسباني الاكبر وفّق في تأليفها توفيقاً يعتبر غاية في افادة التأليف واجادته فقد ضمنها آراءه وافكاراً جديرة بأن تمرأ وتناقش من كتاب الصحف والمجلات ومن أساتذة الجامعات وطلابها على السواء لا سيما آراؤه في تأثير الادب العربي في الادب الاسباني هذا التأثير الذي سوف تحول الدول ولا تزول ورأيه في المقارنة بين أدب العرب المستحدث وأدب العرب القديم بل ورأيه في الادب العربي القديم والجديد. وقصارى القول ان هذه المقدمة جديرة لبحوثها المثقفة العميقة ولاسلوبها الانساني الرشيق الوصاف — بل هي ليست جديرة لشيء جدارتها لان تكون هدية الكريم للشعر اليتيم

أما الظاهرة الثانية فهي تلك الطبعة التي اذيعت بها قصيدة على بساط الريح أيضاً. هذه الطبعة التي يكفي في وصفها أن شاعراً مصريًّا رآها بيدي فلما تناولها لينظرها بعينه كان اول ما وقع بصره فيها على صورة المرحوم الشاعر المؤلف فأسف لموت الشباب الذي لم يتمتع بالشباب ثم ظلّ الشاعر المصري يكرر في اسفه طالما هو يقلب صفحاتها صفحة صفحة ثم لم يلبث ان ردها اليّ وهو يقول اني اقبل عن طيب خاطر ان اموت بناقص ثلاثين عاماً من عمري على شرط ان يطبع من ديواني طبعة بمثل هذا الشكل الجميل

[المقتطف] وقد أهديت الينا مع النسخة العربية نسختان احداهما باللغة الاسبانيولية وفيها ترجمة القصيدة بقلم الشاعر ڤيلاسپاسا والمقدمة. والاخرى باللغة البرتوغالية وتحتوي كذلك على ترجمة القصيدة والمقدمة. وهما مطبوعتان على لسق الطبعة العربية. وكلها مزدانة بصور رمزية ملوّنة وغير ملوّنة

مطبوعات دار الكتب المصرية

اهدت الينا دار الكتب المصرية طائفتين كبيرتين من الفهارس الاولى تشتمل على اجزاء النشرة الدورية للكتب التي اضيفت الى الدار في سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ مبوبة بحسب الموضوعات وأسماء المؤلفين واسماء الكتب بالغتين الانكليزية والفرنسية وثمن كل نسخة منها غرشان صاغ. والطائفة الثانية أربعة مجلدات تشتمل على فهارس الكتب العربية فأحدها للروايات والقصص وآخر لعلوم اللغة وثالث للتاريخ والرابع للآداب اللغة العربية. وقد لاحظنا

في ما كتب على رواية « امير لبنان » تناقضاً فهي « بقلم ... الدكتور ... صرّوف » ثم اضيفت عبارة « نقلها عن الفرنسية الى اللغة العربية الاستاذ ... اسعد داغر » . والاول هو الصواب لانها تأليف الدكتور صرّوف ولا داعي للعبارة الثانية . وفي صفحة ٣٢ من الملحق ٢ للجزء ٢ استدت قصيدة « الاحلام » للاستاذ اسكندر الملوف اللبناني وهي لابنه شفيق . وهذا لا ينقص قيمة هذه الفهارس التي تمّ على صبر وجلد عظيمين . واعدادها من أجل الخدمات التي قامت بها دار الكتب . وثمن كل مجلد خمسة غروش صاغ. عدا المجلد الاول الذي نفد وهو يطبع ثانية الآن. وحبذا الحال لو استطاع القائمون بشؤون الدار ان ينشروا مجلة شهرية عربية تذكر فيها الكتب الجديدة التي تضاف الى المكتبة شهراً شهراً ووصف اهمها . فتسدي يداً للمتأدبين الذين يرهقهم ثمن الكتب الاوربية والاميركية . وتكون دليلاً للشبان في مطالعاتهم اكثر منها فهرساً

﴿ النجوم الزاهرة ﴾ وقد اهدت الينا دار الكتب الجزء الثاني من كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» تأليف جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي في وقائع سنة ١٤٥هـ الى وقائع سنة ٢٥٤ هـ وله فهارس متقنة وافية للاعلام والاماكن والغزوات والموضوعات واسماء الكتب الواردة فيه . ومنها فهرس خاص بوفاء النيل من سنة ١٤٥هـ—٢٥٤ هـ

حسين

رواية مصرية — باللغة الفرنسية — تأليف المسيو البان فانير

تقدمنا الى سيدة شرقية بارعة في اللغة الفرنسية وآدابها في قراءة هذه الرواية المصرية والتعليق عليها فتفضلت علينا بما نرجمتهُ : قد تكون تأخرنا في تقدير «حسين» هذا الكتاب الذي تلهج به ألسنة الناس . ولكن جرياً على المثل القائل بان عمل الخير لا يأتي متأخراً قط اودُّ ان اعرب في سطور قليلة عما اوحتهُ اليَّ مطالعتهُ

حسين ! اي كتاب اخّاذ ! هذا يلخص رأينا في المسيو فانير المؤلف الذكي والنفسي الحاذق ، كما عرفناه في «حسين» . ويظهر لنا انهُ كتب هذه الرواية بحدوه حبٌّ عظيم لمصر ، كالحب الذي يحدو كل عالم مأخوذ بعلمه او اديب مفتتن بموضوع بحثه . ويظهر لنا كذلك ان المسيو فانير قد افلح في النفوذ الى اعماق النفس وسرائر الناس ، مما يجعل اشخاص الرواية احياء متحركين

كل صفحات الكتاب ، وبعضها بليغ جداً ، تبعث نشوة من السرور في الاذن والعين والخيال . . . والقلب جميعاً !

واذا سُمح لنا ان نعرب عن اسف يخالجنا قلنا ان المؤلف لم يتحرَّ الدقة التاريخية في تصوير الاحتلال البريطاني لانهُ لا يرينا الا الوانهُ القاتمة متغاضياً عن لمحات البهاء فيهِ احياناً. ولكننا — والحق يقال — لا نرى الاحتلال البريطاني في هذا الكتاب الا بعيني حسين — سوّغ الثورة ! فليسرع الذين لم يقرأوا «حسين» الى المكاتب لاقتنائهِ ومطالعتهِ راجية أن يذوقوا في مطالعتهِ من السرور ما ذقت

التعاون

الاستهلاكي والصناعي والزراعي والاقراضي

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاباً للاستاذ احمد لاشين بالعنوان السابق ويقسم الكتاب بعد مقدمتهِ المستفيضة الى خمسة أبواب يبحث الفصل الاول من أول الابواب في اقسام شركات التعاون الاستهلاكي ويقسمها الى ثلاثة اقسام الشركات التي تعمل بالمذهب الروتشدالي وشركات التعاون المنزلي الاشتراكية والشركات التعاونية التي تعمل للمصلحة الفردية وينتهي هذا الفصل يبحث يتناول نجاح التعاون الاستهلاكي . أما الفصل الثاني من الباب المذكور فيبحث في تاريخ النهضة التعاونية الاستهلاكية في انجلترا

أما الباب الثاني فيبحث في تعاون المال الصناعي ويتكوَّن أيضاً من فصلين : الاول عبارة عن لمحة تاريخية من هذا النظام والثاني يعالج تعاون المال الصناعي في انجلترا أما الباب الثالث فمخصص للتعاون الزراعي وينقسم الى خمسة فصول تبحث في تاريخ هذا النوع من التعاون وجمعيات الشراء وجمعيات البيع وجمعيات الانتاج في الدانيمرك وأخيراً صناديق التعاون في التأمين الزراعي . ويلي ذلك الباب الرابع في التعاون في الاقراض وهو أربعة فصول تبحث في الاقراض في المانيا وفي فرنسا وفي ايطاليا ثم التعاون الاقراضي لبناء المساكن

وينقسم الباب الخامس الى فصلين وهو يبحث التعاون في مصر ويتكلم عن نشأة النهضة التعاونية في هذا القطر ثم عن عصر احياء هذه النهضة فيهِ

والكتاب وافر شامل مفيد وقد أتى المؤلف باشياء جديدة في الابحاث العربية التي تدور حول هذا الموضوع واجتهد أن يأتي بالمراجع (وأغلبها فرنسي) التي أخذ عنها . ولا تبدو على الكتاب زعة مغالاة أو تطرف فالبحث رزين هادىء ونحن نحث قراءنا على مطالعتهِ فهو من اكثر الكتب مادة

﴿ كتاب التطبيب بالصوم ﴾ تأليف العالم الشهير الكسي سوفورين وقد ترجمهُ برخصة رسمية الارشمندريت خائيل خلوف وكيل البطريركية الارثوذكسية الانطاكية في الارجنتين طبع بالمطبعة التجارية يونس ابرس وصفحاتهُ ٢٤٦ قطع وسط